كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الأستاذ: لغرام عبد الجليل

أستاذ محاضر أ

قسم اللغة والأدب العربي

الهاتف :0666030048

البريد الالكتروني:laghramabde@gmail.com

المحور الثالث : أدب الطفل والتنشئة الاجتماعية .

عنوان المداخلة : ثقافة الطفل وأسس بنائها من خلال مجتمع سوي ومتكامل

مقدمة

إن الاهتمام بالطفولة وأدبها وكتبها ليس وليد الساعة، فهو ضارب في أعماق التاريخ، لما تمثله الطفولة من أهمية كبيرة في حياة الأمم ومستقبلها، وتعتبر الطفولة من أهم المراحل في حياة الإنسان، والطفل هو اللبنة الأساسية لأي مجتمع، وقد أثارت الطفولة حولها النقاش والجدال، بما تمثله من أهمية، وحساسية، ووزن اجتماعي. ولئن اختلفت تعاريف الطفولة بين الخبراء وأهل الاختصاص، فإنهم متفقون جميعًا على أنها الشخصية المحورية في واقع الأمم والحضارات. باعتبار أن الطفل مشروع استثماري للرقي بجميع نواحي الحياة، انطلاقًا من كونه أساس التسيير في المستقبل في شتى المجالات، وشخصية الطفل تتميز كونها المحور الأساسي في معظم التخصصات، إن لم نقل أنها مركز اهتمام المجتمع بكل مؤسساته التعليمية، والإدارية، والصحية وسواها، ويتجلى ذلك أكثر في واقعنا الأكاديمي.

إن الطفولة عند تعمقك في عالمها، تجد نفسك مهتمًا بتخصصات مختلفة تفرض نفسها عليك، وأساس ذلك أن شخصية الطفل متعددة الجوانب، حيث نجدها بين اهتمامات كثير من العلوم كعلم المكتبات، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، وعلوم التربية...إلخ.

ورد في لسان العرب عن الطفل «الطفل الصغير من كل شيء، والطفولة والطفولية لا فعل له»1.وجاء أن كلمة «طفل جمع أطفال: ولد صغير»2. والطفولة «مرحلة من الحياة تبدأ من الميلاد إلى المراهقة، وهي من "الأطفال" وتعني البداية الانطلاق»3.

وجاء في كتاب "أميمة جادو" أن الطفولة هي «الفترة التي يقضيها الصغار في النمو، ويعتمدون فيها كل الاعتماد على آبائهم وذويهم في تأمين تكيفهم الحياتي، حتى يبلغوا مرحلة الاعتماد على أنفسهم في تدبير شؤونهم، وتأمين حاجاتهم البيولوجية والنفسية»4

فثقافة أولاد الأمة ،لا سيما أدبهم تتعرض لمحاولات هيمنة-ألآخر- ،(فالآخر) يستخدم أكثر الأسلحة الثقافية تأثيرا وقد دخلت بيت المسلم ، ووقف إزاءها مذهولا يحاول أن يستفيق من ذهوله ليواجهها بوسائله ، وقد يستسلم في نهاية الأمر لضعفه، لتصبح الأمة فريسة للتغريب، ويؤتي هذا التغريب أكله مع الأطفال بكافة مراحلهم العمرية لأنهم الأكثر تأثرا.5

1محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، ، دار صادر، بيروت ، لبنان، 1994م. ج11، ص 41.

2أحمد العايد وآخرون: المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1989م. ص 794.

Le savoir par les mots. Dictionnaire de la langue français imprime un –3 union européenne– le 2–5–1996. p 173.

4– د.علي راشد: "دور الأسرة في تكوين القيم الإسلامية وتنميتها لدى الطفل لمواجهة التحديات المستقبلية"، بيادر، النادي الأدبي بأبها، أبها، السعودية ، (رجب) 1421هـ. ع7، ص 39

5محمد بسام ملص: في أدب الأطفال رؤية الحاضر. بصيرة المستقبل، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، (كتاب الأمة)، الدوحة، قطر، (رمضان) 1426هـ، (أكتوبر، نوفمبر) 2005م. ص 44.

وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم نجد انه تحدث عن مصطلح طفولة في مواضع عدة نقف عند قوله تعالى:

(..أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) (النور/31).

(وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستئذنوا، كما استَئْذَن الذين من قبلهم) (النور/59).

(..ثُمَّ نُخرِجُكُم طِفلاً ثُمَّ لِتَبلُغُوا أَشُدَّكُم) (الحج/05).

وذهب د."سالم محمد السالم" إلى أن «الطفولة تبدأ بولادة الإنسان وتنتهي ببلوغه، وتتخلل مرحلة الطفولة تطورات فكرية وعقلية واجتماعية، وفسيولوجية ونفسية وجسدية وسلوكية معينة، تميز هذه المرحلة عن بقية مراحل الإنسان، على أن معظم علماء النفس والتربية يحددون مرحلة الطفولة بالفترة المحصورة بين الميلاد وسن الثانية عشرة»[6]. وهناك من اعتبر الطفولة «مرحلة تكوين وجداني»[7].

واسم الطفل يطلق على «تلك المرحلة من مراحل نمو الإنسان، والتي يعتمد فيها الطفل على غيره في تأمين متطلباته الحياتية، وطفولة الإنسان هي أطول مرحلة يمر بها كائن حي، ذلك أن الكائنات الأخرى سرعان ما تستقل عن أمهاتها»[8].

---

6 د.سالم محمد السالم: "احتياجات الطفل في مجال المعلومات مع دراسة لواقع بعض مكتبات الأطفال في المملكة العربية السعودية"، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، السعودية، ، (جمادى الآخرة) 1416هـ، (نوفمبر) 1995م. ع14،ص 289.

7 د.عبد الحميد أبو سليمان: قناة المنار الفضائية، بيروت، لبنان، 2002/12/17م

8 كمال لدرع: "مسؤولية الآباء في كفالة الحقوق المادية والمعنوية للطفل"، المعيار، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، (ربيع الأول) 1423هـ، (جوان) 2002م. ع2، ص 117، 178، عن سليمان عبيدات: الطفولة في الإسلام، ص 37، وينظر ذكاء الحر: الطفل العربي وثقافة المجتمع، دار الحداثة، بيروت ،لبنان، [د.ت]، ص 16،17، أحمد علي كنعان: أدب الأطفال والقيم التربوية، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1416هـ، 1995م. ص 11، 12.

ونَخلص إلى أن الطفل هو الأمل والوسيلة للرقي، والسمو بالواقع، وتطويره إلى الأفضل. وهو رأس مال الأمم والدول، والذي من خلاله تستطيع أن تُنشأ كيانًا سياسيًا واقتصاديًا ومعرفيًا قويًا طموحًا. الطفل هو الوسيلة لتغيير واقعنا إلى الأفضل وتطويره.

تاريخ نشأة أدب الطفل:

إن الاهتمام بالطفل قديم قدم الإنسان حيث يتم انتقاء ما يتلاءم مع عمره ومستواه الفكري على الرغم من اختلاف البيئة والتغيرات التي يعرفها الأدب عامة، حيث يتضمن أدب الأطفال "كل شيئ بدءا من القصص الشعبية والخرافات والأساطير والمواويل وأغاني الأطفال التي يرجع تاريخ الكثير منها إلى عصور ما قبل الكتابة، ووصولا إلى طرق تجسيد في عصر النقل الحرفي الذي تعيشه مثل الكتب الإلكترونية والروايات التي يؤلفها المعجبون بالأعمال الأدبية الأخرى، حول بعض شخصياتها وألعاب الكمبيوتر. ربما يندرج تحت مظلة أدب الأطفال علاوة على ذلك فإن أدب الأطفال يشمل كل الأجناس الأدبية والصيغ والوسائط وكل فترات الكتابة وأنواعها والحركات الأدبية في أي بقعة من العالم" 9.

ويمكن القول أن أدب الطفل جنسا أدبيا له أصول ضاربة في التاريخ متمثلة في القصص الشعبي والخرافات والأساطير وغيرها من الفنون التي كانت في بدايتها شفوية ثم أصبحت كتابية مع عصر الكتابة والتدوين، ثم تخللتها تحديثات جديدة تواكب العصر التكنولوجي. كما نشير أيضا أن نواة أدب الطفل في الوطن العربي "تشكلت شفويا أول الأمر فكانت الجدات والأمهات يروين للأطفال بعض النوادر والحكايات فيسمعون ويروحون عن أنفسهم ويتسلون، فتنقل لهم هذه الحكايات عواطف ومواقف وخبرات ولونا عاليا من ألوان الإمتاع. فتوارثت الأجيال والشعوب هذا الأدب

9 كيجرلي رينولدز–أدب الأطفال مقدمة قصيرة جدا تر: هبة نجيب المغربي،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ط1مصر 2014، ص12

مشافهة، ولما اخترعت الكتابة وتطورت صار هذا الميراث الشعبي لونا من الأدب المكتوب، ضمن رفوف المكتبات وأسفار الرحالة. وحافظت عليه إلى أن وصل إلينا.

ثقافة الطفل:

الطفل" كيان في صيرورة "أي كيان في حالة من النمو المتواصل، وأن وجوده منفتح غير مغلق، ولهذا فإن الطفل الصغير يتَّصف بالتلقائية، والرغبة في اقتحام المجهول، وهويتعلم من البيئة المحيطة به، وإذا سمحت له الظروف، فإنه يستطيع أن يستثمر طاقاته الخلاَّقة في سن مبكرة.

لقد بدأ چون ستيوارت مِل دراسته للآداب اليونانية وهو في سن الثالثة، وما إن بلغ الثامنة حتى كان قد قرأ كل مؤلَّفات هيرودوت ومحاورات أفلاطون الست الأولى وتفجرت إمكاناته الإبداعية في سن مبكرة.

فما الذي يجعل طفلاً "كچون ستيوارت مِل" يبدع وهو صغير، ولا يجعل غيره من الأطفال يصلون إلى ذلك؟

السبب يكمن في البيئة المولِّدة للإبداع، المفجِّرة للإمكانات، الدافعة إلى المعرفة.

وماذا عن أطفالنا ونحن نعيش ما يمكن تسميته بجيل الشاشة الصغيرة، المتخم بالصور المرئية والذى شاهد آلاف الساعات من الب ا رمج التلفزيونية.

لقد أصبح) التليفزيون (بيئة تربوية للطفل، ومن ثَم يصبح على الإعلام أن يكون في خدمة قضايا التعلُّم وتكنولوچيا المعلومات وحرية التعبير.

الثقافة الطفلية والنشاط الثقافي للطفل:

ينبغي التفريق بين الثقافة الطفلية أو ثقافة الأطفال والنشاط الثقافي للطفل تمهيداً للتكامل بينهما، وتثميراً لهذا التكامل في تنمية ثقافة الطفل العربي، لأن ثقافة الأطفال هي جماع الخطاب الثقافي الموجه للأطفال بفنونها وأجناسها الأدبية وبوسائطها الثقافية المختلفة، فيما النشاط الثقافي للطفل هوالفعاليات الثقافية التي يمارسها الطفل بنفسه أو بإشراف المربي أو المنشط الثقافي بما يجعل هذا

النشاط الثقافي وسيلة تربوية ووسيلة تثقيفية([10]) إذ يمارس الطفل النشاط الثقافي فيما بين يديه من مواد ثقافية أو فيما يسمى بالمدارس الخلفية كالنوادي والمعسكرات وغير ذك، وقد يمارس الطفل النشاط الثقافي بشكل موجه أو تلقائي، والنشاط الثقافي الموجه يشرف عليه المربي أو المنشط ضمن برمجة معينة، أما النشاط التلقائي فينفذه الطفل بعيداً عن الرقابة أو بمشاركة أقرانه كالمطالعة، أو إعداد مجلة، أو صنع فيلم من قياس 8مم أو 16 مم، أو أداء مسرحي على سبيل الدراما الخلاقة، أو تمثيل بعض المواقف، ومثل هذا النشاط التلقائي مرهون بمراعاة اعتبارات معينة مثل التلقي لضمان مشاركة إيجابية فعالة للطفل بنشاطه الثقافي أو النمو، عندما تلعب الفروق الفردية والبيئية والاجتماعية والإدراكية دوراً في إقبال الطفل أو مشاركته في النشاط الثقافي حين يصير هذا النشاط إلى تعبير عن الذات أو يندرج في قابلية التنمية الشخصية، أو حدود توافر وسائل النشاط الثقافي التي تتيح إمكانية أفضل لتحقيق أهداف هذا النشاط، أو مراعاة فكرة المجموعات أثناء ممارسة النشاط الثقافي من حيث علاقة الطفل بالراشدين وعلاقة الراشدين بالطفل، وعلاقة الأطفال فيما بينهم.

إن مراعاة أهداف النشاط الثقافي وطبيعته يجعل الطفل مركز العملية التربوية والتثقيفية، ويكشف عن قابلياته الذاتية ويتيح لمشاركة الطفل في التثقيف الذاتي بعداً اجتماعياً لا غنى عنه، مثلما يسهم في تعزيز عمليات التثقيف بحد ذاتها، ويؤثر في تعديل سلوك الأطفال باتجاهات إيجابية نتيجة قاعدة ذهبية متفق عليها وهي أن تنمية ثقافة الأطفال قابلة للاكتساب، وتكون أجدى وأكثر نفعاً من خلال مشاركة الطفل نفسه. ولعل فائدة النشاط الثقافي للطفل تكمن أيضاً في إثراء خيال الأطفال وصقله، ولاسيما تنمية الخيال الابتكاري، مثلما يوسع النشاط الثقافي مدارك الأطفال العقلية من خلال مناقشة المواقف التي يتعرضون لها، وتدعوهم إلى معالجتها.

10 أبو هيف د.عبد الله .الثقافة الطفيلية والنشاط الثقافي للطفل منشورات طلائع البحث دمشق 1982.

والسؤال: كيف يمكن تنمية الإبداع عن الطفل ؟

وهذا السؤال يستلزم أن تكون المدرسة بيئة إبداعية، تلتقط وتستكتشف الموهوبين والمبدعين من التلاميذ الصغار، ولا تكون مجهضة للإبداع والموهوبين.

الإشكالية الرئيسة هى في كيف يمكن للمدرسة أن تصبح بيئة إبداعية لتلاميذها وهي تفتقر إلى المدرس المبدع، الذي يستطيع أن يتعامل مع أطفال مبدعين وموهوبين.

ولذا ينبغي إعداد المدرس إعدادا علميًّا وأكاديميًّا يمكِّنه من اكتشاف المبدعين من

التلاميذ، وإتاحة الفرص أمامهم للتعبير بغير قهر أو إرغام أو سخرية أو عدم االاكتراث بقد ا رتهم الإبداعية.

ولعل نقطة البدء في الإبداع عند الطفل الموهوب هي) الدهشة (لأنها بوابة الدخول إلى عا لم الإبداع، فكيف يكون الإبداع بغير دهشة، يترجمها التساؤل عن كيف وماذا ولماذا.

عن السبب وعن العلة والمعلول وما هو كامن و ا رء الأشياء، وكيفية إعادة تنظيم الأشياء.

وعلى هذا فإن الجِدَّة محور الإبداع ومركز كل موهبة، فكيف تكون موهبة بغير جديد تقدمه في مجال الموهبة التي تتمتع بها، ثم إن الق درة على تقديم الجديد من شأنها أن تثير الدهشة.

ولنا أن نعلم أن الدهشة هي التي صنعت حضارة الإنسان، وأن التساؤل هو الذي يسهم في التطور.

والطفل في حاجة إلى أن يتعلم كيف يندهش على نحو فعال، ولا يتحقق ذلك إلا من خلال إتاحة المجالات المتنوعة علميًّا وتكنلوجيا وفكريًّا وتصوريًّا أمام التلاميذ.

كما أن المدرسة ليست مؤسسة تعليمية منعزلة عن المجتمع، إنما هي انعكاس للمجتمع، تكمن أهميتها في نقل ثقافة المجتمع وتمكين المراهقين والأطفال من التغلب على الأوضاع المعوقة للتطور والتنمية، وذلك عن طريق إتاحة المجال أمام الاهتمامات والقد ا رت الشخصية والإبداعية على التعبير الحر عن ذاتها بما ينفع المجتمع ويحقق له التقدم ولأف ا رده التواصل والانتماء.

ومهمة المدرسة جليلة وكبيرة لا تكمن في ترسيخ ثقافة الذاكرة بقدر ما تكمن في إث ارة حب الاستطلاع والتفكير الإبداعي، وهذا يستلزم أن تكون البيئة المدرسية مزودة بمواد متنوعة ومثيرة للإبداع.

فالمواهب لا تنمو إلا في جو من الحرية والتسامح، لذلك فإن مناهج التعليم بشكلها الحالي لا تتيح للطفل فرصة التعبير عن موهبته، بل تساعد على انطفائه وضياعها، فكم من موهبة و ئِدت، وكم من قدرة أُجهضت، وكم من إمكانية تلاشت، لأن المواهب والقد ا رت والإمكانات لم تجد الظروف المناسبة للاستثمار الجيد في عالم البشر، وفي النظر إلى النسق التعليمي على نحو يتفق وإيقاع عصر جديد نعيشه وظاهرة كوكبية تمتد لتحتوي العالم بأسره.

ونتيجة لهذا كله ينبغي تحديد الإشكاليات المعوقة للإبداع، وضرورة وضع إطار نسق تعليمي جديد، يسعى إلى تفعيل الطاقات والقد ا رت الكامنة لدى الطفل، ولدى القطاعات الجماهيرية الأخرى، فالإبداع أعدل الأشياء قسمة بين الناس.

وكل طفل هو كائن موهوب إذا لم نقهر) الدهشة (التي ترتسم على وجهه يرى تناقضًا في الواقع، وإذا لم نقهره عندما يوجه أسئلة غير مألوفة وإذا لم نمنعه عندما ينقد سلوكيات عالم الكبار.

ولئن كان واقعنا يعيش ص ا رع ثقافات فمن المتوجب علينا ألا نستسلم لهذا الص ا رع وأن نكون أقوياء لكي نثبت مواقعنا ونحقق لأطفالنا المستقبل المنشود ، وحتى نعير ثقافتنا الاهتمام اللازم لا بد من الوعي والتخطيط النوعي وأن ننهي المفاهيم البالية ونتطلع يدًا واحدة إلى مستقبل أوطاننا وأطفالنا ، فالعنصر البشري هو الأهم ولا فائدة من التناحر والتنافر والاقتتال لأن نهايته واضحة :إنه الدمار لا غير .. الحل في حياتنا العربية أن نعمل بروح الفريق الواحد متفاهمين متحدين ننظر إلى الحياة بحب وإلى المستقبل بأمل من أجل التقدم والحضارة، فلا بديل عن إنسانية الإنسان التي ترفض العنف والجهل والتشويه الثقافي والعنصرية وكل ما يسيء إلى الإنسان ، لتبقى البشرية بأمن وسلام وتأخذ الثقافة في الأمة دورها الذي نتطلع إليه.

بقي أن أشير إلى أن التفاوت الثقافي في عالمنا العربي والذي شكَّل فجوة في حياتنا تحتاج إلى مواجهة لمعرفة الأسباب والمسبِّبات ومن ثَمَّ محاولة تجاوزه، ولا ريب في أن للإعلام دوره الكبير في ذلك لأنه لا حياة مع اليأس ولا نجاح إذا لم تظهر مواقف مضادة لكل ما يشوِّه ثقافة طفلنا العربي.

كماأن أدب الطفل بوصفه ظاهرة إبداعية؛ بات ضرورة ملحة، خاصة في عصر لم تعد فيه الأسرة المبرمجَ الوحيد لشخصية الطفل وفكره. فإذا كان أدب الطفل في الغرب قد بلغ الغاية، نظرية وتطبيقا، فكرة وتجسيدا، فإنَّه في عالمنا العربي يحتاج إلى دفعة قوية، سواء ما تعلَّقَ كمه بالإبداع الأدبي أو الإخراج الفنِّي أو التجسيد الدرامي للنصوص. لهذا تبقى دراسة أدب الطفل تفتقر إلى جهد إضافي واهتمام أكبر وعناية أكثر، لأنه أدب لا يقل أهمية عن أدب الكبار، بل قد يفوقه.

الهوامش

1- ابراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار 1989 . المعجم الوسيط .القاهرة :دار الدعوة.

2- .عبد الوهاب زيتون ، الغزو الثقافي وعوامله وأشكاله، دار المنار، بيروت، ط 1،1995 .

3- عبد الله أبو هيف، التنمية الثقافية للطفل العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق 200.

4- كيجرلي رينولدز–أدب الأطفال مقدمة قصيرة جدا تر: هبة نجيب المغربي،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ط1مصر 2014.

5- محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، ، دار صادر، بيروت ، لبنان، 1994م

6- د.علي راشد: "دور الأسرة في تكوين القيم الإسلامية وتنميتها لدى الطفل لمواجهة التحديات المستقبلية"، بيادر، النادي الأدبي بأبها، أبها، السعودية ، (رجب) 1421هـ.

7- محمد بسام ملص: في أدب الأطفال رؤية الحاضر. بصيرة المستقبل، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، (كتاب الأمة)، الدوحة، قطر، (رمضان) 1426هـ، (أكتوبر، نوفمبر) 2005م.

8- **Le savoir par les mots. Dictionnaire de la langue français imprime un union européenne– le 2–5–1996**